الرِّسَالَةُ النَّدِيَّةُ

فِي ضَوَابِطِ الْوَسِيلَةِ الشَّرْعِيَّةِ

فضيلة الشّيخ سيّد عبد العاطي

غفر الله له وعفا عنه

إلى الهدى ائتنا

منشورات إلى الهدى ائتنا

صفر 1440 - أكتوبر 2018

الرِّسَالَةُ النَّدِيَّةُ فيِ ضَوَابِطِ الْوَسِيلَةِ الشَّرْعِيَّةِ

الطّبعة الأولى
صفر 1440- أكتوبر 2018

الرِّسَالَةُ النَّدِيَّةُ فِي ضَوَ ابِطِ الْوَسِيلَةِ الشَّرْعِيَّةِ

مُقَدِّمَةٌ

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الأَرْبَابِ، وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمِ الأَحْزَابِ، وَمُنَزِّلِ الْكِتَابِ، وَمُسَبِّبِ الأَسْبَابِ، وَخَالِقِ الْبَحْرِ العُبَابِ، بَثَّ فِي الْكَوْنِ آيَاتِ عَظَمَتِهِ لِيَتَدَبَّرَ وَيَتَّعِظَ أُولُوا الأَلْبَابِ، وَعَدَ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ الْمُتَّقِينَ عَظِيمَ الثَّوَابِ، وَتَوَعَّدَ الْمُعْرِضِينَ الْمُعَانِدِينَ بِأَلِيمِ الْعِقَابِ وَأَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا عَلَيْهِ مَا ظَهَرَ لِلأَعْيُنِ وَمَا عَنْهَا غَابَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيبَنَا مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الآلِ وَالأَصْحَابِ. أَمَّا بَعْدُ :

فَإِلَيْكَ يَا طَالِبَ النَّجَاةِ -رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ- أَكْتُبُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ حَوْلَ مَسْأَلَةٍ هَامَّةٍ مِنْ مَسَائِلِ الاعْتِقَادِ ضَلَّ فِيهَا مَنْ ضَلَّ، وَزَلَّ فِيهَا مَنْ زَلَّ، إِنَّهَا مَسْأَلَةُ التَّوَسُّلِ وَالْوَسِيلَةِ، وَسَمْتُهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ: "الرِّسَالَةُ النَّدِيَّةُ فِي ضَوَ ابِطِ الْوَسِيلَةِ الشَّرْعِيَّةِ"

هَذَا وَقَدْ حَانَ وَقْتُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأَقُولُ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ:

• قَالَ اللهُ تَعَالَى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ". (المائدة:35).

• وَقَالَ تَعَالَى: "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا". (الإسراء:57).

• فَفِي الآيَةِ الأولَى أَمْرٌ مِنَ اللهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، بِمَا يَقْتَضِيهِ الإيمَانُ مِنْ تَقْوَى اللهِ وَالْحَذَرِ مِنْ سَخَطِهِ وَغَضَبِه وَذَلِكَ بِأَنْ يَجْتَهِدَ الْعَبْدُ، وَيَبْذَلَ غَايَةَ مَا يُمْكِنُهُ مِنَ الْمَقْدُورِ فِي اجْتِنَابِ مَا يَسْخَطُهُ اللهُ، مِنْ مَعَاصِي الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ، الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ. وَيَسْتَعِينُ بِاللهِ عَلَى تَرْكِهَا، لِيَنْجُو بِذَلِكَ مِنْ سَخَطِ اللهِ وَعَذَابِهِ.

•وَأَنْ يَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ أَيْ: الْقُرْبُ مِنْهُ، وَالْحَظْوَةُ لَدَيْهِ، وَالْحُبُّ لَهُ، وَذَلِكَ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ الْقَلْبِيَّةِ، كَالْحُبِّ لَهُ وَفِيهِ،

وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَالإِنَابَةِ وَالتَّوَكُّلِ. وَالْبَدَنِيَّةِ: كَالصَّلاةِ وَنَحْوِهَا،وَالْمَالِيَّةِ: كَالزَّكَاةِ ،وَالْمُرَكَّبَةِ مِنْ ذَلِكَ :كَالْحَجِّ وَنَحْوِهِ، وَمِنْ أَنْوَاعِ الْقِرَاءَةِ وَالذِّكْرِ، وَمِنْ أَنْوَاعِ الإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ بِالْمَالِ وَالْعِلْمِ وَالْجَاهِ، وَالْبَدَنِ، وَالنُّصْحِ لِعِبَادِ اللهِ، فَكُلُّ هَذِهِ الأَعْمَالِ تَقَرّبُ إِلَى اللهِ.

• فَإِذَا فَعَلَ أَهْلُ الإِيمَانِ ذَلِكَ حَقَّقُوا الْفَلاحَ وَهُوَ الْفَوْزُ بِالْمَطْلُوبِ، وَالنَّجَاةُ مِنَ الْمَرْهُوبِ، أَيْ: الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالنَّعِيمُ الْمُقِيمُ فِي الآخِرَةِ.

• وَفِي الآيَةِ الثَّانِيةِ أَخْبَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ عَنْهُمْ بِاهْتِمَامِهِمْ بِالافْتِقَارِ إِلَى اللهِ وَابْتِغَاءِ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ فَقَالَ: { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ } مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالْمَلائِكَةِ { يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ } أَيْ: يَتَنَافَسُونَ فِي الْقُرْبِ مِنْ رَبِّهِمْ وَيَبْذُلُونَ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمُقَرِّبَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَإِلَى رَحْمَتِهِ، وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ فَيَجْتَنِبُونَ كُلَّ مَا

يُوَصِّلُ إِلَى الْعَذَابِ. { إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } أَيْ: هُوَ الَّذِي يَنْبَغِي شِدَّةُ الْحَذَرِ مِنْهُ وَالتَّوَقِّي مِنْ أَسْبَابِهِ.

وَهَذِهِ الأُمُورُ الثَّلاثَةُ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ وَالْمَحَبَّةُ الَّتِي وَصَفَ اللهُ بِهَا هَؤلاءِ الْمُقَرَّبِينَ عِنْدَهُ هِيَ الأَصْلُ وَالْمَادَّةُ فِي كُلِّ خَيْرٍ. فَمَنْ تَمَّتْ لَهُ تَمَّتْ لَهُ أُمُورُهُ وَإِذَا خَلا الْقَلْبُ مِنْهَا تَرَحَّلَتْ عَنْهُ الْخَيْرَاتُ وَأَحَاطَتْ بِهِ الشُّرُورُ. وَمِنْ خِلالِ الآيَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ نَسْتَطِيعُ التَّعَرُّفَ عَلَى ضَوَابِطِ وَأَحْكَامِ الْوَسِيلَةِ الشَّرْعِيَّةِ:

▪ أَوَّلا: مَفْهُومُ التَّوَسُّلِ وَالْوَسِيلَةِ:

• مِنْ خِلالِ اللُّغَةِ وَالاصْطِلاحِ يَتَّضِحُ أَنَّ التَّوَسُلَ يُطْلَقُ عَلَى مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ فِعْلِ الطَّاعَاتِ وَتَرْكِ الْمَنْهِيَّاتِ، وَعَلَيْهِ حَمَلَ الْمُفَسِّرُون قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾. (المائدة: 35).

• كَمَا يُطْلَقُ أَيْضاً عَلَى التَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَاتِّبَاعِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَبِكُلِّ عَمَلٍ يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ. قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: "إِنَّ الْوَسِيلَةَ هِيَ الْقُرْبَة"،

وَقَالَ قَتَادَةُ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي تَفْسِيرِ الْقُرْبَةِ: "أَيْ: تَقَرَّبُوا إِلَى طَاعَة بِطَاعَتِهِ وَالْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيهِ، وَهَكَذَا. (انظر:التَّوصُّل إلى حقيقة التَّوسل لمحمَّد نسيب الرِّفاعي ص 20).

• وَأُطْلِقَتِ الْوَسِيلَةُ فِي الْحَدِيثِ عَلَى مَنْزِلَةٍ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "...ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ". (أخرجه مسلم في صحيحه:288/1).

• يَتَّضِحُ مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ التَّوَسُلَّ لُغَةً وَشَرْعاً. لا يَخْرُجُ عَنْ مَعْنَى التَّقَرُّبِ أَوْ مَا يَؤولُ مِنَ الْقُرْبَى إِلَى اللهِ تَعَالَى بِمَا يَرْضَاهُ مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. (انظر:التَّوسُّل والوسيلة في ضوء الكتاب والسُّنَّة ل محمدعبدالعزيزفوَّاز الهيتي).

■ ثَانِيًا: التَّوَسُّلُ الْمَشْرُوعُ:

•التَّوَسُّلُ عِبَادَةٌ لِذَا يَجِبُ أَنْ يَتَوَافَرَ فِيهِ شُرُوطُ قَبُولِ الْعِبَادَةِ وَمِنْهَا بَعْدَ الإِسْلامِ: الإِخْلاصُ للهِ تَعَالَى، وَمُتَابَعَةُ رَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-وَبُنَاءًعَلَى ذَلِكَ فَالتَّوَسُّلُ الْمَشْرُوعُ هُوَ مَا وَافَقَ كِتَابَ اللهِ تَعَالَى، وَصَحِيحَ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-وَمِنْ أَمْثِلَتِهِ:

1- التَّوَسُّلُ بِأَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْمُثْلَى:

• قَالَ اللهُ تَعَالَى: "وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ". (الأعراف:180).

• فَفِي هَذِهِ الآيَةِ أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَى أَنْ نَدْعُوَهُ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَأَسْمَاؤُهُ سُبْحَانَهُ مُتَضَمِّنَةٌ لِصِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ.

•وَقَدْ أَخْرَجَ الإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي سُنَنِهِ -كِتَابُ الدَّعَوَاتِ بِرَقَمِ"3524" مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ

عَنْهُ-قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ."

• وَأَخْرَجَ الإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-أَيْضاً-فِي سُنَنِهِ-كِتَابُ الدَّعَواتِ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ بِرَقَمِ"3392" مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِشَيْءٍ أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ .قَالَ :"قُلْ اللَّهُمَّ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ قَالَ :قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ."

2- التَّوَسُّلُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ:

• وَهُوَ التَّوَسُّلُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِالإِيمَانِ بِهِ وَمُتَابَعَةِ رَسُولِهِ وَأَيِّ عَمَلٍ صَالِحٍ ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ:

• قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّاۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا

وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَاۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ". (البقرة:127:129).

-فَفِي هَذِهِ الآيَاتِ تَوَسَّلَ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ إبْرَاهِيمُ-عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-بِرَفْعِ الْقَوَاعِدِ مِنَ الْبَيْتِ وَهُوَ عَمَلٌ صَالِحٌ.

• وَمَا أخْرَجَهُ الإمَامُ الْبُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي صَحِيحِهِ -كِتَابُ الإجَارَةِ بِرَقَمِ"2121" مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، يَقُولُ : " انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَتَّى أَوَوْا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ،فَقَالُوا:إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا ، فَنَأَى

بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا ، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا،فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ،وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْمَالًا،فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ،فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ ، قَالَ النَّبِيُّ- ﷺ-:وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا،فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ ، فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ ، عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا ، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا ، قَالَتْ: لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ،فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا فَانْصَرَفْتُ عَنْهَاوَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ،فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَقَالَ الثَّالِثُ : اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَثَمَّرْتُ

أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ ، فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي،فَقُلْتُ لَهُ:كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ، وَالْبَقَرِ، وَالْغَنَمِ،وَالرَّقِيقِ،فَقَالَ:يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَسْتَهْزِئْ بِي ، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ فَأَخَذَهُ كُلَّهُ ، فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا ، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ. "

3- التَّوَسُلُ إِلَى اللهِ بِدُعَاءِ الصَّالِحِينَ مِنَ الأَحْيَاءِ:

• قَالَ اللهُ تَعَالَى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ". (النِّساء:64).

-فَهَذِهِ الآيَةُ الْكَرِيمَةُ فِيهَا حَثُّ الأُمَّةِ عَلَى الْمَجِيءِ إِلَى الرَّسُولِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-إِذَا ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِشَيءٍ مِنَ الْمَعَاصِي، أَوْ وَقَعُوا فِيمَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَجِيئوا إِلَيْهِ تَائِبِينَ نَادِمِينَ حَتَّى يَسْتَغْفِرَ لَهُمْ- عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-، وَالْمُرَادُ بِهَذَا الْمَجِيءِ: الْمَجِيءُ إِلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ يَدْعُو الْمُنَافِقِينَ وَغَيْرَهُمْ إِلَى أَنْ يَأْتُوا إِلَيْهِ لِيُعْلِنُوا تَوْبَتَهُمْ

وَرُجُوعَهُمْ إِلَى اللهِ، وَيَطْلُبُوا مِنْهُ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَسْأَلَ اللهَ أَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ وَأَنْ يُصْلِحَ أَحْوَالَهُمْ.

• وَأَخْرَجَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي صَحِيحِهِ-كِتَابُ الاسْتِسْقَاءِ بِرَقَمِ"964" مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قَالَ فَيُسْقَوْنَ."

• ذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي الْفَتْحِ عِنْدَ شَرْحِهِ لِلْحَدِيثِ السَّابِقِ: "قَوْلُهُ : (أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ إِذَا قُحِطُوا) بِضَمِّ الْقَافِ وَكَسْرِ الْمُهْمَلَةِ أَيْ أَصَابَهُمُ الْقَحْطُ ، وَقَدْ بَيَّنَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِي الْأَنْسَابِ صِفَةَ مَا دَعَا بِهِ الْعَبَّاسُ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ وَالْوَقْتَ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ ذَلِكَ ، فَأَخْرَجَ بِإِسْنَادٍ لَهُ أَنَّ الْعَبَّاسَ لَمَّا اسْتَسْقَى بِهِ عُمَرُ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ ، وَلَمْ يُكْشَفْ إِلَّا بِتَوْبَةٍ ، وَقَدْ تَوَجَّهَ الْقَوْمُ بِي إِلَيْكَ لِمَكَانِي مِنْ نَبِيِّكَ ، وَهَذِهِ أَيْدِينَا إِلَيْكَ بِالذُّنُوبِ وَنَوَاصِينَا إِلَيْكَ

بِالتَّوْبَةِ فَاسْقِنَا الْغَيْثَ. فَأَرْخَتِ السَّمَاءُ مِثْلَ الْجِبَالِ حَتَّى أَخْصَبَتِ الْأَرْضَ ، وَعَاشَ النَّاسُ."

• وَيُسْتَفَادُ مِنْ قِصَّةِ الْعَبَّاسِ اسْتِحْبَابُ الِاسْتِشْفَاعِ بِأَهْلِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ وَأَهْلِ بَيْتِ النُّبُوَّةِ فِي حَيَاتِهِمْ، وَفِيهِ فَضْلُ الْعَبَّاسِ وَفَضْلُ عُمَرَ لِتَوَاضُعِهِ لِلْعَبَّاسِ وَمَعْرِفَتُهُ بِحَقِّهِ.

4- التَّوَسُّلُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِوَصْفِ حَالِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ:

• قَالَ اللهُ تَعَالَى: "وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ(23) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ". (القصص:23:24).

• فَفِي هَذِهِ الآيَاتِ بَيَان أَنَّ نَبِيَّ اللهِ مُوسَى عليه السلام بَعْدَ أنْ سَقَى لِلْمَرْأَتَيْنِ الصَّالِحَتَيْنِ تَوَجَّهَ إِلَى الظِّلِّ ، وَأَعْلَنَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ افْتِقَارَهُ لِلْخَيْرِالَّذِي يَسُوقُهُ إِلَيْهِ، وَقَدِاسْتَجَابَ اللهُ لَهُ فَقَالَ تَعَالَى: "فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي

يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(25) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (26) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27) قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ".(القصص:25:28).

▪ ثَالِثاً: التَّوَسُّلُ الْمَمْنُوعُ:

• وَهُوَ التَّوَسُّلُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِمَا لَمْ يَثْبُتْ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، وَصَحِيحِ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ وَسِيلَةٌ وَمِنْ أَمْثِلَتِهِ:

1- تَوَسُّلُ الْمُشْرِكِينَ بِالأَصْنَامِ وَهُوَ مِنَ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ:

• قَالَ اللهُ تَعَالَى حَاكِياً عَنِ الْمُشْرِكِينَ: "أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ." (الزُّمر:3).

2- التَّوَسُّلُ بِذَاتِ أَوْ بِجَاهِ أَحَدٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ:

• مِنَ التَّوَسُّلِ الْمُحَرَّمِ الْمَمْنُوعِ التَّوَسُّلُ بِذَاتِ أَوْ بِجَاهِ أَوْ بِحَقِّ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْوقِينَ سَوَاء كَانَ نَبِيًّا أَوْ وَلِيًّا لأَنَّ ذَلِكَ يُعَارِضُ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ." (البقرة:186).

• وَمَا أَخْرَجَهُ الإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي صَحِيحِهِ- كِتَابُ الصُّلْحِ بِرَقَمِ"2550" مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ."

3- التَّوَسُّلُ بِالأَمْوَاتِ وَالْغَائِبِينَ:

مِنَ التَّوَسُّلِ الْمُحَرَّمِ الَّذِي يُفْضِي إِلَى الشِّرْكِ التَّوَسُّلُ بِالأَمْوَاتِ وَالْغَائِبِينَ، لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى:" يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن

قِطْمِيرٍ (13)إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ". (فاطر:13:14).

• فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّ دُعَاءَ مَنْ لا يَسْمَع وَلا يَسْتَجِيب شِرْكٌ يَكْفُرُ بِهِ الْمَدْعُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

• وَيُسْتَفَادُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ التَّوَسُّلَ فِيمَا لايَقْدِرُ عَلَيْهِ إلاَّ اللهُ لا يَكُونَ إلا بِاللهِ، وَمَنْ تَوَسَّلَ بِغَيْرِ اللهِ فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إلا اللهُ فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللهِ.

■ وَأَنَّ التَّوَسُّلَ بِالْمَخْلُوقِ جَائِزٌ بِشُرُوطٍ ثَلاثَةٍ:

1- أَنْ يَكُونَ الْمَخْلُوقُ حَيًّا.

2- أَنْ يَكُونَ الْمَخْلُوقُ قَادِراً.

3- أَنْ يَكُونَ الْمَخْلُوقُ حَاضِراً.

■ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِإِيمَانِي بِكَ وَاتِّبَاعِي لِنَبِيِّكَ أنْ تُفَرِّجَ كَرْبَ أمَّتِنَا، وَأنْ تُحْسِنَ خَاتِمَتَنَا، وَآخِرُ دَعْوَانَا أنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الخاتمة

فِي خَاتِمَةِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ أَسْأَلُ اللهَ بِرَحْمَتِهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَنْ يَرْحَمَنِي، وَأَنْ يَعْفُوَ عَنِّي، وَأَنْ يَتَجَاوَزَ عَمَّا وَقَعَ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ مِنْ خَطَأٍ أَوْ غَفْلَةٍ: "رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا". (البقرة:286).

وَأَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِزَوْجِي وَوَلَدِي وَلِعُلَمَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ أَجْمَعِينَ وَلَا سِيَّمَا أُولَئِكَ الأَئِمَّةِ الأَعْلَامِ الَّذِينَ نَقَلْتُ عَنْهُمْ وَأَفَدْتُ مِنْهُمْ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ، وَلِمَنْ سَاهَمَ فِي إِعْدَادِهَا وَنَشْرِهَا، وَلِقَارِئِهَا وَالْعَامِلِ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ دَلَائِلِ الإِيمَانِ، وَلِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ.

وَأَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَهْدِيَنَا وَيَهْدِيَ بِنَا، وَ أَنْ يُيَسِّرَ الْهُدَى لَنَا، وَيَجْعَلَنَا سَبَبًا لِمَنِ اهْتَدَى ،وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ وَزِدْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ الْغَافِلُونَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

تمت بفضل الله

مَدِيـــــــنَةُ زُولْتِســـــــبَاخ - أَلْمَانْيَا

شَهْرِ صفر لِعَام1440 هِجْرِيَّة،

الْمُوَافِق لِـ

لِشَهْرِ أكتوبر لِعَامِ 2018 مِنَ الْمِيلاد.

كَتَبَهُ:

أَبُو أَحْمَد سَيِّد عَبْد العَاطِي بن مُحَمَّدٍ الذَّهَبِيّ

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِزَوْجِهِ وَوَلَدِهِ وَلِلمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ.

مَنْشُورات أُخرى للمؤلِّفِ: